دراسات فی العلوم الإنسانية
۲۹(۳)، الخريف ۱۴۴۴/۱۴۰۱/۲۰۲۲، صص ۴۵-۶۳
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة
DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3

تحليل اجتماعي لمفهوم الطفل ومرحلة الطفولة في آراء الإمام أبي حامد محمد الغزالي

غلامرضا جمشيديها[۱] ، عهديه اسدبور[۲*]

۱. أستاذ علم الاجتماع في جامعة طهران
۲. دكتوراه في علم الاجتماع لقضايا إيران المجتمعية، جامعة الزهراء (س)

تاريخ الوصول: ۱۴۴۲/۵/۲۴ تاريخ القبول: ۱۴۴۲/۱۱/۱۳

الملخّص

إنّ الاهتمام بالطفل وقضية الطفولة قد كان موجودا طوال التاريخ باعتباره نموذجا اجتماعيا قبل ظهور علم الاجتماع المعرفي. حاول البحث الراهن دراسة آراء الإمام محمد الغزالي وأفكاره حول الطفولة لمعرفة مدى اهتمامه بمرحلة الطفولة من حياة الإنسان. وفي حال كان هناك اهتمام من الإمام الغزالي بموضوع الطفولة فما هي آراؤه حول الموضوع وما هي أفكاره حول سن الطفولة وطبيعة الطفل والكيانات الاجتماعية، وخصائص مرحلة الطفولة ونقاط ضعفها وقوتها. يعدّ الإمام أبو حامد الغزالي من المفكرين المشهورين في القرن الخامس الهجري، وقد كانت آراؤه في مجال التعليم والتربية والفكر الإلهي والإنساني لها تأثير كثير على من تبعه من المفكرين والمهتمين بالمجال التربوي. هذه الدراسة تمت وفق المنهج الإسنادي الوثائقي، وتشمل الوثائق المدروسة نوعين من الأسناد؛ النوع الأول والنوع الثاني. أظهرت النتائج بأن الغزالي قد اهتم بموضوع الطفولة ورأى أن طبع الطفل هي طبع طاهر وبعيد عن الذنوب والمعاصي. والأطفال يمكن تعريفهم على أساس كيانين اثنين الأول كيان الأسرة والثاني كيان "المكتب" أو المدرسة، وكل من هذين الكيانين يقومان بتعليم الطفل وتأديبه وتربيته. الطفل يتسم بصفات مثل ضعف العقل وروح التقليد والنقص، وبوجوده ضمن المجتمع فهو يتعلم ويتأثر من الكبار الذين يحيطون به. يرى الغزالي أن مرحلة الطفولة تبدأ منذ انعقاد النطفة وتنتهي هذه المرحلة لدى الإناث عند سن الرشد والبلوغ (۹ سنوات هجرية كاملة)، ولدى الذكور تنتهي في سن السادسة عشر، وبعد هذه المرحلة يمكن للأنثى والذكر الدخول في عالم الحياة الزوجية وبعبارة أخرى الدخول في عالم الكبار. قادت النتائج الباحثين إلى الاعتقاد بأن الغزالي كان عند حديثه عن الطفولة يستهدف طفولة الذكر أكثر من طفولة الأنثى وكان يقصد بالطفل الولد إلى حد كبير.

الكلمات المفتاحية: الغزالي، الطفل، مرحلة الطفولة، التقبل الاجتماعي.

الكاتب المسئول: E-mail: ahdiehasadpour7503@gmail.com

Copyright© 2022, the Authors | Publishing Rights, ASPI. This open-access article is published under the terms of the Creative Commons Attribution- NonCommercial 4.0 International License which permits Share (copy and redistribute the material in any medium or format) and Adapt (remix, transform, and build upon the material) under the Attribution-NonCommercial terms.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

١- المقدمة وإشكالية البحث

يمكن اعتبار الأفكار والآراء حول موضوع الطفل والطفولة في المرحلة ما قبل مرحلة الحداثة بأنها جزء من خلفية البحث حول موضوع الطفولة. وبالتالي تصبح دراسة هذه الآراء هامة وضرورية؛ لأننا نعتقد أنه ليس من الممكن معرفة أي ظاهرة في العصر الحديث بشكل عام وموضوع مرحلة الطفولة بشكل خاص دون مراجعة تاريخها وجذورها، وهي آراء يمكن اعتبارها متصلة بموضوع الفلسفة الاجتماعية الكلاسيكية[1]. ونظرا إلى أن مفهوم الطفل هو مفهوم ثقافي فإنّ البحث الراهن يسعى إلى مناقشة مفهوم الطفولة في الثقافة والحضارة الإسلامية بشكل عام وآراء أحد العلماء البارزين في الحضارة الإسلامية وهو الإمام محمد الغزالي بشكل خاص. ربما يبدو أن مراجعة آراء المفكرين القدماء هو أمر غير ضروري لكن في الحقيقة الأمر ليس كذلك؛ لأننا يمكن أن نجد في آراء وأفكار أولئك العلماء (مثل الغزالي)، مبادئ قويمة حول خلق الأفكار والنظريات الجديدة. من جانب آخر فإننا ينبغي أن نعرف أن مجتمعنا هو جزء من المجتمع الإسلامي الكبير، وإن جمهورية إيران الإسلامية لديها جذور إسلامية. وانطلاقا من ذلك ربما يمكن أن نجد في أفكار وآراء أبي حامد الغزالي نماذج من الأفكار والمعتقدات التربوية التي يمكن أن نستعين بها لتحسين وتغيير حالة ومكانة الطفل في المجتمعات الإسلامية.

كان أبو حامد الغزالي يعيش في القرن الهجري الخامس، ومقولة إن كل عالم هو ابن عصره وبيئته ليست مقولة غريبة وبعيدة عن الصواب؛ لأن العلماء والمفكرين يتأثرون في أفكارهم وآرائهم في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها بعصرهم وبيئتهم التي يعيشون فيها. إنّ الحضارة الإسلامية في عهد الغزالي كانت تعاني من الانحلال والانحطاط والضعف السياسي والعسكري، لكنّ الوضع آنذاك في إيران كان مختلفا. وكان الغزالي معاصرا لحكم السلاجقة (٥٥٢- ٤٢٩ للهجرة) في إيران، وقد عاصر معظم سلاطين هذه العائلة الحاكمة. إن ظهور هذه العائلة في العالم الإسلامي كان يشكل مرحلة جديدة ليست في إيران فحسب بل في جميع بلدان العالم الإسلامي. وبعد أن خرجت إيران من عباءة الخلفاء انقسمت إلى عدة دول وإمارات وأصبح لكل منطقة أو إقليم أمير يحكمها بشكل مستقل أو شبه مستقل. واستطاع السلاجقة أن يبسطوا نفوذهم بشكل سريع على جميع ربوع إيران. كما سيطروا على باقي الممالك والإمارات في منطقة آسيا وشكلوا لأنفسهم دولة واسعة كانت إيران مركزها وعاصمتها. (همايى، ١٣٤٢: ١٣).

ومن الناحية الثقافية كذلك كان عصر أبي حامد الغزالي عصرا مشهورا، وقد بدأت شهرة هذا العصر منذ القرن السابق للغزالي أي القرن الرابع الهجري وهي "العصور الذهبية للحضارة الإسلامية"، أو "عصر حداثة المسلمين" (متز، ١٣٦٤: ٩). فى هذا العصر شهد العالم الإسلامي ازدهارا ونمواً كبيراً في المجالات العلمية والفلسفية والرياضية والنجوم. أطلق المؤرخ همايي على عصر الغزالي أي منذ منتصف القرن الخامس وحتى بدايات القرن السادس عصر "العلم والأدب" أو عصر "المذهب والجدال"(همايى،١٣٤٢: ٢٠-١٩). إنّ الجدل الكلامي بين المذاهب والفرق (زرين‌كوب، ١٣٩٦: ٦-٥) والحروب الصليبية (نفس المصدر: ٤٠) هي من السمات والخصائص التي كانت سائدة في هذا العصر. في مثل هذه

1.classical social philosophy

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية قام الغزالي بالعديد من الرحلات وقصد مدن كثيرة مثل نيسابور وجرجان وغيرهما من المدن. وقد تتلمذ على أيدي علماء كبار أمثال أبي نصر الإسماعيلي وإمام الحرمين أبوالمعالي الجويني وغيرهما من المشايخ والعلماء الذين كانوا متصدرين لمنابر العلم في زمانه (همايى، ١٣٤٢: ١٢١). كما كان الغزالي منشغلا في التعليم والتدريس وقد كان أستاذا في مرحلة من مراحل حياته في جامعة النظامية في بغداد (كارا دُو وُو، ١٣٦١: ١٤٠)وقد كانت تعد أهم جامعة في عصره وبالتالي فإن منصبه يعتبر أعلى منصب علمي في ذلك العصر.

إن نتيجة الجهود والمساعي العلمية للغزالي هي كم كبير من المؤلفات والكتابات في مجالات المختلفة كالفلسفة والدين والاجتماع والسياسة. ومن بين كتبه ومؤلفاته يحتل كتاب إحياء علوم الدين الصدارة من حيث الأهمية وذيوع الصيت والشهرة. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية بعنوان "كيمياء السعادة" وأصبح الكتاب معروفاً بأسلوبه وسلاسته (الغزالى، ١٣٨١، ج١: ١٥).من خلال قراءة الأعمال المعاصرة حول الطفل يمكن لنا أن نلمس آثار وأفكار القدماء في هذا الحقل المعرفي، وهذا هو هدف وغاية هذا البحث.

١-١أسئلة البحث وأهدافه

تسعى الدراسة الحالية ومن خلال مراجعة أعمال ومؤلفات أبي حامد الغزالي أن تتعرف على أفكاره وآرائه حول موضوع الطفل والطفولة. بعبارة أخرى فإن الهدف الرئيس الذي يسعى الباحثان الوصول إليه من خلال هذه الدراسة هو معرفة آراء الغزالي الاجتماعية حول الطفل ومرحلة الطفولة.

إن الأسئلة التي نحاول الإجابة عنها في هذا البحث هي كالتالي: ما هي الأفكار والآراء التي قدمها أبوحامد الغزالي حول موضوع الطفل والطفولة؟ وكيف قام الغزالي ببيان هذه الآراء والأفكار؟ بعبارة أدق ما هي العلاقة بين عدم الاهتمام بمرحلة الطفولة والتعلق بالأطفال؟ ما هي بداية مرحلة الطفولة ونهايتها عند الغزالي؟ ما هو اتجاهه حول طبيعة الطفل؟ ما هو شكل حركة الإنسان وسيره من الطفولة إلى البلوغ؟ ما هى المؤسسات التي ينبغي أن تقوم بمهمة تأهيل المجتمع وجعله مستعدا لتقبل الطفل؟ هل تحدّث الغزالي عن المخاطر التي كانت تواجه الأطفال في عصره؟

١-٢خلفية البحث

لقد تم الاهتمام بآراء وأفكار الغزالي من جوانب مختلفة، منها الاهتمام بآرائه ونظرياته السياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية والمنطقية والأدبية والسكانية وكذلك آرائه في مجال علم النفس المعرفي. ونظرا إلى وجود آراء عديدة للغزالي في المجالات العلمية المختلفة يجب أن نعرف أن الغزالي مثله مثل الكثير من مفكري الإسلام التقليديين يرى أن فروع العلم والمعرفة هي متصلة فيما بينها. وبالتالي فإنّ اتجاهه يختلف عن اتجاه العلماء المعاصرين في الغرب الذي أصبح يهتم بالجانب التخصصي للعلوم والمعارف ويصنف هذه العلوم وفق تخصصات مختلفة. إن ظهور التخصصات في العلوم هو مجال ظهر في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

القرون المعاصرة.

مع ذلك لا يمكننا أن نحصر مجالات علوم ومعارف الغزالي بالمجالات العلمية المذكورة آنفا. ونظرا إلى أن أبا حامد الغزالي كان يدرس في جامعة النظامية يرى الباحثان أن الغزالي وإضافة إلى كونه مفكرا إسلاميا ومعلما حاذقا وشهيرا فهو كذلك يعتبر عالم اجتماع قدم آراء هامة وملفتة في مجال الطفل ومرحلة الطفولة من حياة الإنسان. لكن رغم أهمية هذه الآراء والنظريات التي ظهرت في مؤلفات وكتب الغزالي حول الطفل إلا أننا لا نجد بحوثا تناولت هذا الجانب من علم الغزالي. وعلى هذا الأساس يمكننا أن ندعي أنه لم يتم تأليف عمل منسجم وجامع حول آراء الغزالي فيما يتعلق بموضوع الطفل والطفولة. الجدير بالذكر هناك بحوث ودراسات قد تناولت آراء الغزالي التربوية على سبيل المثال قدم الباحث جواهر فروش زاده عام (١٣٧٢ هـ ش) بحثا بعنوان" آراء الغزالي التربوية"، وخلص إلى أن الغاية من التربية عند الغزالي هو الكمال الأخلاقي وهو الهدف الأخير من رسالة الإسلام. يرى الباحث أن الغزالي أكد على ثلاثة محاور أساسية في مجال التربية وهي النفس والأخلاق والعلم، وذكر لهذه التربية أهدافا مثل السعادة الدنيوية والأخروية، والسيطرة على النفس الأمارة بالسوء، وتهذيب الأخلاق، وإحياء السنة النبوية. ويقترح الغزالي ثلاث كيانات لتربية الطفل وهي البيت والمكتب والمدرسة. ويبين الكاتب في النهاية أن آراء الغزالي التربوية قد أثرت بشكل كبير على الآراء التربوية التي ظهرت بعد عصر الغزالي. ويذكر عطاران (١٣٦٨ هـ ش) في فصل له من كتاب بعنوان "آراء علماء الإسلام الكبار حول تربية الطفل"، أن الغزالي قد اهتم بتربية الطفل وأكد على ضرورة تعريفه مبادئ الإسلام وأصوله. وحول تأثير آراء الغزالي في عدد من المجالات يذكر الباحث أهمية مرحلة الطفولة وخصائص الطفل النفسية وبيان أن الطفولة هي مرحلة تكوين العادات، كما تناول عوامل التربية والمواد التعليمية.

وفي مقال بعنوان "علاقة العقل والدين في آراء الغزالي وإشارات ذلك في التربية الدينية (التربية على أساس معتقدات الغزالي الإيمانية)" للباحث خالق خواه (١٣٩٣)، درست آراء الغزالي الإيمانية وآثار الإيمان الديني على التربية الدينية. فهو يبين أن الغزالي يرجح في المقام الأول الاتجاه الإيماني على سائر الاتجاهات التربوية الدينية، ثم واعتمادا على الخلفية الفكرية للغزالي في مذهب الأشاعرة يبين أسباب مخالفة الغزالي للفلسفة والتصوف ويذكر أن الغزالي يفرق بين أفراد البشر ويرى انهم متفاوتون وأن هذا الفرق بينهم يؤدي إلى أن يكون لكل شخص تبريرات خاصة للمعتقدات التي يعتنقها ويؤمن بها. وعلى أساس هذه الفروق يعتقد البعض أن الدخول في عالم الإيمان لا يحتاج إلى أي براهين أو أدلة. أما البعض الآخر فيوظف الاستدلال والجدل العقلي لتعزيز الإيمان وترسيخه، فيما يختار آخرون الساحة الأمثل للإيمان أي العرفان لديانة. كل من هذه الساحات إذا كانت قائمة على الشريعة يمكن لها تزرع الإيمان في قلب الإنسان، وتبعا لذلك نجد أن أي من هذه الاتجاهات بإمكانها أن تترك تأثيرا مختلفا على التربية الدينية لدى الإنسان. في هذا البحث تم تحديد التربية الدينية على أساس ثلاث مجموعات: وهي مجموعة العوام ومجموعة خواص أهل البرهان وخواص أهل العرفان. يذكر الكاتب في النهاية أن كلا من هذه المجموعات لديها خصائص ومميزات تجعلها مختلفة عن غيرها من المجموعات كما لديها أهداف وأصول خاصة بها.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

وتطرق فرهاديان وسراج زاده (١٣٩٨) في بحث لهما إلى شرح أفكار الغزالي ومهدي نراقي وقاما بمقارنة بين المفكرين. أظهرت نتائج البحث أن كلا من العالمين حاولا تقديم نظام تربوي ديني وفق التعاليم الدينية، وكانت اتجاهاتهما في القضايا المختلفة مثل القضايا التعليمية والتربوية قائمة بشكل أساسي على المبادئ الدينية. هناك قواسم مشتركة كثيرة بين الغزالي ونراقي حول مبادئ التربية الأخلاقية، وتعد الطبيعة المركبة للإنسان وطهارة أصله وفطرته، والتدرج والطبيعة المتغيرة للأخلاق وتأثير الظروف من أهم المبادئ التربوية الأخلاقية لدى العالمين الإسلاميين الشهيرين. في الخلفية الفكرية للتربية الأخلاقية بين هذين المفكرين نجدا تفاوتا جوهريا بينهما. فالغزالي هو أشعري المذهب وهو ما جعله يقدم رؤية مختلفة حول قضايا التربية الأخلاقية، ويمكننا هنا أن نشير إلى الاتجاه الجبري لديه في هذا الخصوص. كما نجد أن التصوف يسطر على المبادئ التربوية الأخلاقية لدى الغزالي وخلافا لنراقي نرى أن الجانب العقلي والفلسفي يسود في فكر ومعتقدات الغزالي حول موضوع التربية والأخلاق.

نلاحظ أن البحوث والدراسات التي أتينا على ذكرها لم تستهدف موضوع الطفل والطفولة لدى الغزالي بل إنها كانت تدور حول وظائف المربي باعتباره شخصا بالغا وكبيرا يتحمل مسؤولية تربية الطفل ورعايته، وبالتالي لم يتطرق إلى موضوع الطفولة باعتبار الطفل شخصا خاصا يقف في مقال المتربي والمتعلم. وعلى هذا الأساس نحاول في هذا البحث أن ندرس آراء وأفكار الغزالي حول موضوع الطفل والطفولة لنخطو خطوة وإن كانت قصيرة نحو التعرف على آراء الغزالي الاجتماعية حول مرحلة الطفولة من حياة الإنسان.

٢- الأدب النظري

إن «علم المعرفة الاجتماعي لمرحلة الطفولة» يعد حقلا جديدا في علم الاجتماع وتعود بدايات ظهوره إلى العقود الأخيرة حيث ظهر للمرة الأولى في ثمانينيات القرن المنصرم. وقد طرحت نظريات واتجاهات جديدة في هذا المجال وتم تعريف مرحلة الطفولة باعتبارها مرحلة خاصة ومتمايزة عن مرحلة البلوغ. وأصبح يتم التعامل مع مرحلة الطفولة ليست باعتبارها ظاهرة "في مرحلة التكوين" بل هي ظاهرة "في مرحلة الوجود". لقد تناول علماء الاجتماع أمثال جنكس، وجيمز وبروت (١٣٩٣: ١٩٣) موضوع الطفل والطفولة من خلال تقديمهم لنظريات البنيوية الاجتماعية لمرحلة الطفولة، وعبروا عن هذا المجال باعتباره اتجاها جديدا، أي إنه اتجاه بدأ بالظهور حديثا وهو لم يكتمل بعد.

كما بينا آنفا فإن هذا الاتجاه إزاء موضوع الطفل والطفولة هو اتجاه حديث وظهر في العقود القليلة الماضية. وقبل ذلك كان الاتجاه نحو الطفل هو اتجاه مختلف كليا. يصنف جيمز وزملاؤه هذه الاتجاهات في اطار عام وفي قالب من «نماذج في علم الاجتماع المعرفي[1]». إن احدى النظريات في هذا الخصوص هي نظرية «الطفل الشرير[2]». فهم ينطلقون من افتراض مفاده أن الشر والفساد والحقارة والشيطنة هي عناصر أولية ورئيسة في كيان الطفل وجوهره. وعلى هذا الأساس

1. the presociological child
2. The evil child

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

يجب تكوين مرحلة الطفولة من خلال القيام بقيود وكبح لهذه الميول والطاقات السلبية الكامنة في وجود الطفل. كما يجب القضاء على هذه الميول من خلال اتباع برنامج منظم وتأديبي، وبطبيعة الحال فإن مثل هذه الاتجاهات ساهمت في نمو واتساع فكرة «التأديب[1]» (جيمز و زملاؤه، ١٣٩٣: ٤٠-٣٣).

وفي مقابل نظرية الطفل الشرير نجد نظرية «الطفل البريء[2]». يفترض أصحاب هذه النظرية أن الطفل في الأساس لديه قلب طاهر وملائكي وسماوي، ولم يتلوث بعد بأدران الدنيا ومفاسدها. تعود جذور هذه النظرية إلى جان جاك رسو. على الوالدين والمدربين أن يربوا الأطفال بطريقة تحافظ على طهارة الأطفال ونقائهم الفطري (نفس المصدر: ٤٥- ٤٠). هناك نظرية أخرى باسم نظرية «الطفل الفطري[3]». وتعود أصول هذه النظرية إلى آراء وأفكار جان لاك. لا يعتبر جان لاك أن مكانة الطفولة هي مكانة سماوية بامتياز وفي الوقت نفسه ليست مرحلة الطفولة هي مرحلة حيوانية. إنّه يرى بأن الأطفال أساساً ليسوا شيئاً (نظرية اللوح الأبيض). بعبارة أخرى فإن الأطفال مهما كانوا فهم ليسوا أفرادا فاقدي الجدارة أو أنهم كبار ناقصين. (م.ن: ٤٨-٤٧).

كما ذكر الباحثون في البحث السابق نظريتين تحت عنوان «النمو الطبيعي للطفل[4]» و «النمو الاجتماعي للطفل[5]». ففي نظرية النمو الطبيعي يكون الأطفال في الغالب هم أحداث طبيعية أكثر من كونهم أحداثا اجتماعية. إن الطفل لدى بياجيه[6] هو مخلوق بيولوجي ضعيف ولديه إمكانية هائلة لكي يتحول إلى شيء خاص بالكامل، وإن مرحلة الطفولة هي حالة ناقصة للمكانة الاجتماعية الواقعية للإنسان البالغ (م.ن: ٥٠). إن نموذج الطفل الذي لديه نمو اجتماعي في علم الاجتماع شبيه إلى حد كبير بنموه النفسي في مجال علم النفس وهو يرتبط بنمو الطفل وبلوغه. إنّ نظرية النمو الطبيعي لا تتطرق إلى ماهية الطفل الطبيعية كما لا تتناول ما يتوقعه المجتمع من الطفل (ن.م: ٦٣).

استنادا إلى النظريات التي تمت الإشارة إليها في ما سبق نحاول في هذا البحث الإجابة عن طبيعة رؤية الغزالي تجاه الطفل وإلى أي نوع من هذه الاتجاهات تنتمي نظريات الغزالي وآراؤه. فهل يعتبر الغزالي الطفل شريرا بالفطرة أو إنه يعتبره ذات طبيعة صالحة أو إنه يرى فيه لوحة فارغة من كل شيء ولديها القابلية على أن تتحول إلى شيء آخر سواء كان شرا أو خيرا.

1. coddling
2. the innocent child
3. the immanent child
4. the naturally developing child
5. the socially developing child
6 . Jean Piaget

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

٣- منهجية البحث

لقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوثائقي[1]، وقد راجع الباحثان في هذا السياق نوعين من المصادر والوثائق: الأول الوثائق والمصادر التي تصنف ضمن الوثائق من الدرجة الأولى وهي تلك المصادر التي استخرجت من أعمال ومؤلفات الغزالي نفسه، أما المصادر من النوع الثاني فهي عبارة عن البحوث والدراسات التي قام بها الباحثون في مجال الطفل والطفولة. إن المصادر ضمن الدرجة الأولى والتي تمت مراجعتها في هذا البحث هي عبارة عن كتاب إحياء علوم الدين، ورسالة أيها الولد، والأدب في الدين. إن الباحثيْن وبالاعتماد على الاتجاه الاستقرائي حاولا مراجعة الكتب الموثوقة وبعد قراءتها عملا على أخذ العينات والمعلومات اللازمة من المصادر والبحوث المتصلة بموضوع دراستهما. وفي المرحلة التالية تم تصنيف وتنظيم هذه المقولات والآراء وفي النهاية خلصت الدراسة إلى تقديم نظرية حول الموضوع.

٤- بيانات البحث

تظهر بيانات البحث أن الغزالي يتطرق في كتاب "صدر الإشارة"، بأسلوب "غني وسلس وسهل وواضح" (كارا دُو وُو ١٣٦١: ١٤٣) إلى القضايا التي تتصل بموضوع البحث الراهن ألا وهو موضوع الطفل ومرحلة الطفولة.

٤-١- سن الطفولة

إن السؤال الأول الذي تحاول الدراسة الحالية الإجابة عنه هو أن تحديد مرحلة الطفولة لدى الغزالي تتضمن أي فترات عمرية؟ أي إن مرحلة الطفولة تبدأ من أي سن تحديدا ومتى تنتهي هذه المرحلة؟ بشكل عام وحسب اعتقاد مفكري الإسلام بمن فيهم الغزالي أن سن الطفولة يبدأ منذ انعقاد النطفة في رحم الأم لكن هناك خلافات في السن الذي تنتهي به هذه المرحلة العمرية من حياة الإنسان.

ويقيناً يمكن لنا أن نعتبر نهاية الطفولة هو تشكيل الأسرة من قبل الإنسان، فمن خلال بدء حياة جديدة يتوجب على المتزوج أن يتقبل مسؤوليات كثيرة مثل مسؤولية الأب أو الزوج أو غيرهما، وهي مسؤوليات تخص مرحلة البلوغ ولا يقوم بها إلا الكبار والبالغون من البشر. بعبارة أدق يمكن اعتبار الزواج هو الحد الفاصل بين مرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ. وعلى هذا الأساس فإن هذا الحد يكون قائما على أساس فروق واختلافات جنسية بين المرحلتين. يعتقد الغزالي أنه يجب على الوالدين الإسراع في تزويج "البنت" ويقول في فصل "آداب الطعام" في المجلد الأول من إحياء علوم الدين نقلا عن حاتم الأصم:

«إنّ العجلة من الشيطان الا في خمسة أشياء الأولى إطعام الطعام اذا حضر الضيف والثانية تجهيز الميت اذا مات والثالثة تزويج البكر اذا ادركت والرابعة قضاء الدين اذا وجب والخامسة التوبة من الذنب إذا أذنب» (غزالی،١٣٨٠، ج: ٢٩٨).

1. DocumentaryResearch

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

لكن هذه السرعة لا يعني أن يتم تزويج البنت التي لم تبلغ بعد: يقول الغزالي في هذا الخصوص :«إذا كانت البنت يتيمة لا يجوز تزويجها وهي لا تزال طفلة إلا بعد أن تبلغ» (غزالى،١٣٨٠، ج١: ٣١٠). وفي حال تم ذلك فإن عقد الزواج يكون باطلا. وبهذا الشكل نرى أن نهاية مرحلة الطفولة عند الغزالي تتم عندما يكون الإنسان بالغا وراشدا. يقول:«عندما تكون الفتاة مؤهلة للزواج يصح تزويجها» (غزالى، ١٣١٧: ١٥٨). إن نظرية الرشد والبلوغ لدى الغزالي تقوم على أساس فكرة النمو الفسيولوجي والذي يتم عند الفتيات بعد حدوث العادة الشهرية. تجدر الإشارة هنا إلى أنه ووفق القول المشهور لدى علماء الإسلام فإن بداية سن الرشد لدى الفتيات يكون في سن التاسعة على أساس التقويم الهجري القمري (الحر العاملى، ١٤٠٩، ج١: ٣١؛ الطوسى، ١٤٠٨، ج ٣: ١١٦ و الطبرسى، ١٤٠٨ق: ١٥٠).

أما السن المناسب لتزويج الأولاد فهو عند سن السادسة عشرة. بعبارة أخرى إن نهاية مرحلة الطفولة لدى الأولاد تبدأ في سن السادسة عشرة.

«عندما يبلغ الولد سن السادسة عشرة فعلى أبيه أن يزوجه ويمسك بيده ويقول: لقد أدبتك وعلمتك القرآن وزوجتك وأعوذك بالله من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة» (غزالى،١٣٨٠، ج١: ٤٠٢).

إن سبب تحديد السنة السادسة عشرة لكي تكون سنا مناسبا لتزويج الأولاد هو أن الولد في هذه المرحلة تستولي عليه الشهوة وغريزة الجنس:

«الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب، فيستحقر معها لذة اللعب، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء، فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها، ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر، وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها » (غزالى،١٣٨٠، ج٢: ٥٩١).

وإذن فمن وجهة نظر الغزالي فإن البنت تنهي فترة طفولتها بعد وصولها إلى سن الرشد والبلوغ كما ينهي الأولاد هذه المرحلة العمرية عندما يتجاوزوا سن السادسة عشرة، ويستطيع الولد والبنت أن يدخلا عالم الكبار بعد الزواج وينهيا فترة عدم المسؤولية ويدخل إلى عالم الأدوار للكبار وتحمل المسؤوليات.

٤-٢- طبيعة الطفل

من الأسئلة الأخرى لهذه الدراسة هو معرفة الاتجاه الذي سلكه الغزالي إزاء موضوع طبيعة الطفل وأصله. بعبارة أخرى كيف خلقت طبيعة الطفل باعتباره إنسانا ضمن مجموعة الأسرة؟ هل إن فطرة الطفل هي كما يعتقد روسو (١٣٨٨: ٧٥)، فطرة طاهرة وصالحة أو إنها فطرة ذات أصل سيء وشرير كما يعتقد هابزي (وغان، ١٣٩٥)؟ أو إن الغزالي يعتقد كما يعتقد جان لاك (١٣٩٩: ٣٦) ويرى أن طبيعة الطفل هي ليست طبيعة خاصة وإنه يكون شخصيته من خلال التعليم والتربية والعيش في المجتمع؟

يرى أبو حامد الغزالي أن وجود الإنسان يكتمل من خلال التربية، ويعترف في كتابه "المنقذ من الضلال"أن أصل

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

الإنسان وفطرته هو أصل سليم وطاهر (غزالی،١٣٦٢: ٩٠).أي إن الطفل هو خال من كل الأدران والسوء الذاتي، وطبعا هذا لا يعني أن الطفل خال تماما من القوى الغريزية كالشهوة والغضب (غزالی،١٣٨٠، ج٢: ٦). إن الغزالي يشرح في ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين في فصل تحت عنوان "رياضة النفس وتطهيرها من الطبع السيء" بتفصيل طبيعة الطفل وأصله.يعتقد الغزالي عموما أن «الخلق الحسن ممكن التحصيل» (غزالی،١٣٨٠، ج٢: ٩). وهو يرفض النظريات والآراء التي تقول إن طبع الإنسان غير قابل للتغيير (غزالی،١٣٨٠، ج٢: ٩)، لأن قبول هذه النظريات يترتب عليه رفض القابلية للإصلاح والتربية لأعضاء المجتمع، في حين أن الإنسان هو كائن قابل للإصلاح. يقول في هذا الباب حول تربية الصبيان وتأديبهم:

«اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ فِي رِيَاضَةِ الصِّبْيَانِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ وَأَوْكَدِهَا، وَالصَّبِيُّ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ، وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رَقَبَةِ الْقَيِّمِ عَلَيْهِ،» (غزالی،١٣٨٠، ج٢: ٢٧).

وبهذا الشكل نرى الغزالي يؤكد أن طبيعة الطفل هي قابلة للتغيير والإصلاح كما يثبت أن جوهر الطفل وفطرته هي بعيدة عن كل الشرور، وهو يدخل إلى كيان الأسرة ثم بعد ذلك إلى المدرسة باعتبارها المجموعة الثانية التي يكون الطفل عضوا فيها بعد الأسرة. وفي هاتين المجموعتين يمكن أن نخرج طفلا سليما أو طفلا سيئا وأن نهديه إلى الخير أو نقوده إلى الشقاء.

٤-٣- التقبل الاجتماعي لدى الأطفال

إن السؤال التالي الذي نحاول الإجابة عنه في هذا البحث هو أن الغزالي كيف يرى مسيرة التحول من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكبار؟ يعتقد الغزالي أنه ينبغي على الطفل لكي يتحول من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكبار أن يمر بعملية التقبل المجتمعي.

أن يكون اجتماعيا أو "التقبل الاجتماعي" هو مفهوم قد طرح كثيرا من قبل علماء الاجتماع للتعريف بعملية التحول من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكبار، فكيف يستطيع الطفل أن يخلق انسجاما بينه وبين القيم والأعراف المجتمعية (ن.ک: دنزين[1]، ١٩٧٧؛ غوسلين[2]، ١٩٦٩؛ دنزيجر[3] ١٩٧١؛ ١٩٧١ و جی وايت[4]، ١٩٧٧). على هذا الأساس فإن فهم علم الاجتماع من موضوع النظم الاجتماعي وإعادة بنائه يرتبط بمدى فاعلية مفهوم التقبل الاجتماعي لدى الأطفال لضمان هذه المقولة وهي أن المجتمعات تحفظ كيانها في طول الأزمان ومضائها.

1. Denzin
2. Goslin
3. Danziger
4. G. White

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

يمكننا أن نلمس هذا المفهوم في أفكار وآراء الغزالي تحت عنوان "التنشئة" و"التأديب"، وهو مفهوم يتصل بمجال الأطفال. بشكل عام فإن دراسة موضوع التربية والتنشئة قد تناولتها جميع المدارس والاتجاهات الفكرية. ومن المؤكد بأنّ الغزالي وباعتباره احد مفكري الإسلام الكبار ليس مستثنى من هذه القاعدة العامة. ويعرف الغزالي باعتباره أحد المربين الكبار في مجال تربية الأطفال ورعايتهم. وكانت آراؤه التربوية قد سيطرت على الثقافة التربوية في عالم الإسلام (رفيعى، ١٣٨١: ٥).

إن الطفل يتعلم القيم والأعراف المجتمعية التي تدور في المجتمع وهي أعراف حسب تعريف الغزالي تدور حول الأخلاق الحسنة والتعاليم الدينية والمذهبية المحمودة. في الواقع فإن أساس التربية لدى الغزالي تحوم حول محورية الله والآخرة، وهي فكرة تنبع من معرفة الخالق لديه. إن الهدف النهائي للتربية هو "السعادة الأخروية"، ويمكن أن نجد هذه المقولة في أبواب مثل "سعادة الإنسان في معرفة الله تعالى" (الغزالى،١٣٨٠، ج١: ٣٩)، و"اتباع الشريعة سعادة وفلاح" وهي مسائل تطرق إليها في كتاب إحياء علوم الدين.

والآن يجدر بنا أن نتساءل عن الجهة التي ينبغي أن تقوم بهذه المهمة. يتكلم الغزالي عن مؤسستين اثنين في هذا الخصوص وهما الأسرة والمدرسة. فحسب اعتقاد الغزالي فإن تربية الطفل يجب أن تبدأ منذ بداية خلقه. وإن أول مؤسسة أو كيان ينبغي أن يقوم بهذه المهمة هي مؤسسة الأسرة باعتبارها أهم كيان اجتماعي. لأن الطفل وفي لحظة ولادته يفتح عينيه على والديه، وإن ما ينبغي على الوالدين أن يعلما الطفل في هذه المرحلة هو:

«وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ، وَيَحْفَظَهُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَلَا يُعَوِّدُهُ التَّنَعُّمَ، وَلَا يُحَبِّبُ إِلَيْهِ الزِّينَةَ وَأَسْبَابَ الرَّفَاهِيَةِ، فَيَضِيعُ عُمْرُهُ فِي طَلَبِهَا إِذَا كَبِرَ فَيَهْلِكُ هَلَاكَ الْأَبَدِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاقِبَهُ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ، فَلَا يَسْتَعْمِلُ فِي حَضَانَتِهِ وَإِرْضَاعِهِ إِلَّا امْرَأَةً صَالِحَةً مُتَدَيِّنَةً تَأْكُلُ الْحَلَالَ .. وَيَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ عَنِ النَّوْمِ نَهَارًا؛ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْكَسَلَ، وَلَا يُمْنَعَ مِنْهُ لَيْلًا، وَلَكِنْ يُمْنَعُ الْفُرُشَ الْوَطِيئَةَ؛ حَتَّى تَتَصَلَّبَ أَعْضَاؤُهُ، وَلَا يُسْخَفَ بَدَنُهُ فَلَا يَصْبِرُ عَلَى التَّنَعُّمِ، بَلْ يُعَوَّدُ الْخُشُونَةَ فِي الْمَفْرَشِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ.» (غزالى،١٣٨٠، ج٢: ٢٩- ٢٧).

كما يجب أن يتعلم الطفل آداب الأكل والشرب في الأسرة وهذه أيضا مهمة تقع على عاتق الوالدين:

«وَأَوَّلُ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ: شَرَهُ الطَّعَامِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ فِيهِ، مِثْلُ أَنْ لَا يَأْخُذَ الطَّعَامَ إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَأَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ: «بِسْمِ اللَّهِ» عِنْدَ أَخْذِهِ، وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ، وَأَنْ لَا يُبَادِرَ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ غَيْرِهِ، وَأَنْ لَا يُحَدِّقَ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى مَنْ يَأْكُلُ، وَأَنْ لَا يُسْرِعَ فِي الْأَكْلِ، وَأَنْ يُجِيدَ الْمَضْغَ، وَأَنْ لَا يُوَالِيَ بَيْنَ اللُّقَمِ، وَلَا يُلَطِّخَ يَدَهُ وَلَا ثَوْبَهُ، وَأَنْ يُعَوَّدَ الْخُبْزَ الْقَفَارَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ حَتَّى لَا يَصِيرَ بِحَيْثُ يَرَى الْأُدْمَ حَتْمًا، وَأَنْ يُقَبِّحَ عِنْدَهُ كَثْرَةُ الْأَكْلِ، بِأَنْ يُشَبَّهَ كُلُّ مَنْ يُكْثِرُ الْأَكْلَ بِالْبَهَائِمِ، وَبِأَنْ يُذَمَّ بَيْنَ يَدَيْهِ الصَّبِيُّ الَّذِي يُكْثِرُ الْأَكْلَ، وَيُمْدَحُ عِنْدَهُ الصَّبِيُّ الْمُتَأَدِّبُ الْقَلِيلُ الْأَكْلِ، وَأَنْ يُحَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيثَارُ بِالطَّعَامِ، وَقِلَّةُ الْمُبَالَاةِ بِهِ، وَالْقَنَاعَةُ» (م.ن: ٢٧).

إنّ الشيء الآخر الذي يوصي به الغزالي الوالدين هو أن لا يتعجلا في تأديب الطفل عندما يبدر منه عمل سيء، وإن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

رأى منه منكرا لا يسرعا في الإشارة إليه وفي المقابل عندما رأى منه فعلا حسنا فينبغي أن يشجعاه على ذلك:

«ثُمَّ مَهْمَا ظَهَرَ مِنَ الصَّبِيِّ خُلُقٌ جَمِيلٌ وَفِعْلٌ مَحْمُودٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَمَ عَلَيْهِ، وَيُجَازَى عَلَيْهِ بِمَا يَفْرَحُ بِهِ وَيُمْدَحُ بَيْنَ أَظْهُرِ النَّاسِ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَغَافَلَ عَنْهُ، وَلَا يَهْتِكَ سِتْرَهُ، وَلَا يُكَاشِفَهُ، وَلَا يُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَتَجَاسَرَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِهِ،» (م.ن: ٢٩– ٢٨).

لكن تأديب الطفل عندما يقصر في الفرائض الدينية فهو أمر محسوم عند الغزالي ولا ينبغي على الوالدين التغافل عن ذلك:

«وَمَهْمَا بَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيزِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُسَامَحَ فِي تَرْكِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، وَيُؤْمَرُ بِالصَّوْمِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ رَمَضَانَ وَيُعَلَّمُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حُدُودِ الشَّرْعِ، وَيُخَوَّفُ مِنَ السَّرِقَةِ، وَأَكْلِ الْحَرَامِ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ، وَالْكَذِبِ، وَالْفُحْشِ» (م.ن: ٢٩).

إضافة إلى مؤسسة أو كيان الأسرة التي مر ذكرها فإن المؤسسة الثانية التي تؤدي دورا هاما في تربية الطفل في فكر الغزالي هي المكتب أو المدرسة. «ثم يبعث به إلى المكاتب ليتعلم القرآن ويستمع إلى أخبار وحكايات المتقين وسيرة الصحابة والسلف الصالح» (م.ن: ٢٩). وعلى هذا الأساس فإن الطفل يحتاج إلى مدرب ماهر ومرشد خبير ليتجاوز مرحلة الطفولة ويدخل في عالم البلوغ ويتعلم الأخلاق الحسنة والمعارف الحقيقية (م.ن: ٥٢٥).إن الطفل لا يستيقظ من نوم الغفلة إلا من خلال "كلام الأم والأب والمعلم» (م.ن: ٢٩٠).

تجدر الإشارة هنا إلى أن الغزالي وقبل كل شيء يرى أن الله عز وجل هو المعلم الحقيقي للطفل، وأن يدرك المدرب أن تربية الطفل أو الصبي لها فوائد معنوية ومادية له. إن معلم الإنسان في هذه العملية هو الله عز وجل.إن ما ينبغي على المدرب والمرشد أن يغرسه في كيان الطفل وشخصيته هو:

«أن يبعد الأخلاق السيئة من شخصية الطفل ويغرس بدلا عنه الأخلاق الحسنة وهذا هو معنى التربية. يجب أن يهذبه كما يهذب البستاني الحديقة ويزيل من النباتات الأعشابَ الزائدة » (عطاران، ١٣٦٨: ٣٦).

ربما يكون الطفل كارها للتعلم في "المكتب" لكن وبمرور الوقت تغرس في نفسه محبة العلم والتعلم (غزالى،١٣٨٠، ج٢: ١٢). وبكل تأكيد يكون المدرب في هذه العملية مضطرا للممارسة الأساليب التأديبية غير الكلامية «إذا لم تذهب إلى المكتب سوف نأخذك إلى بيت الفأر» (م.ن: ٢٩١).

٤–٤– خصائص الطفل ومرحلة الطفولة

إن السؤال التالي في هذا الخصوص هو: ما هي الخصائص والمميزات التي يعتقد الغزالي وجودها في الطفل؟ ومن خلال مراجعة مؤلفات الغزالي نلاحظ أنه يعتبر أن مرحلة الطفولة تتضمن ثلاث خصائص وهي أن الطفل في هذه المرحلة يكون "ضعيف العقل" و"ناقص الشخصية" و"مقلد".كما يعتبر الغزالي أن صفة "اللعب" هي من خصائص هذه المرحلة العمرية. ونظرا إلى أن الطفل لا يزال غير مسلح بالمهارات الاجتماعية والتواصلية فإنه يعتبر عنصرا فاقدا للأهمية في المجتمع وبالتالي يتم إهماله وعدم العناية به:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

«الصبي يحب اللعب أكثر من الملك لأنه لا يشعر بلذة السلطان لأنه لا يزال ناقصا» (الغزالى،١٣٨٠، ج٢: ٤٤٢).

إن نقصان الطفل له علاقة بصفة نقصان العقل أو ضعفه لديه، وباعتقاد الغزالي فإن هذه الصفة هي من صفات مرحلة الطفولة. ولذا فإن من يكون دائم التواصل مع الأطفال ناقصي العقل أو تفرض عليه مهنته التواجد في هذه البيئة فإن ذلك يؤثر على عقله ويضعفه:

«وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل » (الغزالى،١٣٨٠، ج١: ٣٦١- ٣٦٠).

إن الصفة الأخرى لدى الأطفال عند الغزالي هي صفة "التقليد" أي إنهم يفعلون ما يظهر أمامهم من أفعال الآخرين. بعبارة أخرى فإنّ التقليد هو سلوك يمارسه الطفل من خلال رؤيته لأفعال الآخرين وتكراره لها.

إن هذا التقليد يظهر في المشاعر والأحاسيس كذلك كالخوف والهم و..وتكون هي أساسا للسلوك والتصرفات الأخرى، يقول الغزالي في هذا الخصوص:

«إذا لاحظ الصبي من يحاول لمس الأفعى فإنه يقلده ويمد يده نحو الأفعى دون وجل أو خوف» (م.ن: ٤١١).

إضافة إلى ما مضي تنبغي الإشارة إلى أن حب اللعب من خصائص الأطفال ومرحلة الطفولة. وطبعا قد يشمل اللعب العلاقة بين الطفل والكبار على سبيل المثال أن يلعب الوالدان مع الطفل، لكن حسب ما يفهم من آراء الغزالي وكتاباته أن اللعب يشمل العلاقة بين الطفل والطفل. كما أن لعب الأطفال ليس شيئا خاصا بعالم الأطفال كما يرى الغزالي وإنما هو شيء يسيطر عليه الكبار وهم من عليهم أن يعطي الإذن والرخصة للأطفال باللعب. يقول في هذا الخصوص:

«وَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بَعْدَ الِانْصِرَافِ مِنَ الْكُتَّابِ أَنْ يَلْعَبَ لَعِبًا جَمِيلًا يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ مِنْ تَعَبِ الْمَكْتَبِ، فَإِنَّ مَنْعَ الصَّبِيِّ مِنَ اللَّعِبِ وَإِرْهَاقَهُ إِلَى التَّعَلُّمِ دَائِمًا يُمِيتُ قَلْبَهُ، وَيُبْطِلُ ذَكَاءَهُ، وَيُنَغِّصُ عَلَيْهِ الْعَيْشَ، حَتَّى يَطْلُبَ الْحِيلَةَ فِي الْخَلَاصِ مِنْهُ رَأْسًا.» (م.ن: ٢٩).

إن سبب منع الصبيان من اللعب من قبل الكبار هو أن لا يتعلموا أشياء وخصائص سيئة خلال لعبهم.

٤-٥- التحرش الجنسي بالطفل – الولد (الشذوذ الجنسي)

إن الباحثين والدارسين يعتقدون بأن الغزالي كان يهتم بالمخاطر والتحديات التي تواجه الطفل في عصره. إن أحد هذه المخاطر هي موضوع الانحرافات الجنسية. إن الغزالي يتحدث في كتاب إحياء علوم الدين عن هذه الظاهرة ويتطرق إليها ذاكرا لها بعض النماذج.

إن تعلق الرجل بالرجل – وهنا يتم التأكيد على الأولاد الذكور حصرا – هي حالة تطلق عليها مسميات مختلفة مثل الشذوذ الجنسي[1]، واللواط. لقد ذكر الغزالي موضوع اللواط في كتبه بما فيها كتاب إحياء علوم الدين.

إن الغزالي لم يتناول الطفل الذي يمارس بحقه الشذوذ الجنسي بل اكتفى بالحديث عن الفاعل ومن يقوم بممارسة

1. Pederasty

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

الجنس مع الطفل الذكر، ويتحدث عن العقاب الأليم الذي ينتظره. ويذكر الغزالي في ربع المهلكات في باب "علاج شهوة الفرج" لو كانت مداعبة الطفل تقتصر على المتعة الروحية ولا يشوبها شهوة جسدية وتكون شبيهة بالاستمتاع بالورود والنباتات فإن ذلك لا حرج فيه وإلا فإنه معصية وجريرة.

«والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر إليه» (الغزالى،١٣٨٠، ج٢: ٥٧- ٥٦).

كما يشير الغزالي في مواضع أخرى من كتاب إحياء علوم الدين إلى هذه الآفة الاجتماعية ومخاطرها (على سبيل المثال١٣٨٠، ج١: ٤٨٧- ٤٨٦). كما يذكر في ربع المنجيات في باب بعنوان "الذنوب الكبيرة والصغيرة" ويذكر الزنا واللواط باعتبارهما نوعين من سبعة عشر ذنبا من الذنوب الكبيرة (م.ن: ٣٢٨).كما يرى أن من لا يعتقد أن هذا الفعل ليس محرما فيجوز قتله «كل من لا يؤمن بأن اللواط محرم وفسوق فإنه يباح قتله» (م.ن: ٤٨٦).

٥- النتائج

حاولت الدراسة الراهنة مناقشة وتحليل موضوع الطفل والطفولة في فكر الغزالي المفكر الإسلامي في القرن الخامس الهجري. استخدمنا منهج الوثائق والأسانيد للإجابة عن الأسئلة التي طرحت في البحث. لهذا تمت مراجعة المصادر الأساسية المتمثلة بكتب الغزالي وتأليفاته. من هذه الكتب التي تمت مراجعتها هي كتاب إحياء علوم الدين. إن السؤال الأول كان حول الفترة الزمنية التي يبدأ فيها سن الطفولة وكذلك الفترة الزمنية التي تنتهي بها هذه الفترة ويصبح الطفل ضمن فئة الكبار والبالغين. ووفق النظريات المعاصرة فإن سن الثامنة عشر هو السن الذي تنتهي فيه مرحلة الطفولة وتبدأ فيه مرحلة الكبار والبالغين. وقد تم تقرير ذلك من قبل لجنة حقوق الطفل في عام ١٩٨٩. والجدير بالذكر أن اللجنة لم تتحدث عن بداية مرحلة الطفولة. إن الغزالي كان من ضمن المفكرين القلائل الذين حددوا مرحلة البداية والنهاية في حياة الطفل. فمرحلة الطفولة تبدأ بانعقاد النطفة في رحم الأم. لكن عند الحديث عن نهاية مرحلة الطفولة فيفرق الغزالي بين الجنسين. فنهاية الطفولة عند البنت تبدأ عندما تظهر آثار البلوغ على البنت متمثلة بحدوث العادة الشهرية (في سن التاسعة وفق التقويم الهجري)، لكن الطفولة لدى الأولاد تنتهي في سن السادسة عشر.

السؤال الثاني الذي حاولنا الإجابة عنه في هذا البحث كان يدور حول موقف الغزالي إزاء طبيعة الطفل وفطرته. وأظهرت النتائج أن الغزالي يعتقد أن الطفل هو ذات طبع وفطرة طاهرة وبعيدة عن كل المفاسد والسيئات، وهذه الأمور تحدث نتيجة لنوع التربية فهو قد يُهدى إلى السعادة كما قد يقاد إلى الشقاء والتعاسة. انطلاقا من هذا يمكننا القول إن روية الغزالي في هذا الباب هي قريبة من رؤية جان لاك (لاک، ١٣٩٨: ٥١٢).

والسؤال الثالث الذي أجبنا عنه كان يدور حول رأي الغزالي في مسيرة التحول التي يمر بها الطفل لينهي مرحلة الطفولة ويدخل في عالم الكبار والبالغين. وحسب اعتقاد أبي حامد الغزالي فإن هذه المرحلة تتم عبر عملية التقبل الاجتماعي لدى

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

الطفل، وتقع مسؤولية هذا التحول في المقام الأول على الأسرة باعتبارها أهم مؤسسة وأول كيان اجتماعي، ثم تلي الأسرة مؤسسة المدرسة أو المكتب حسب تعبير الغزالي. إن محتوى التقبل الاجتماعي لدى الطفل يجب أن يكون متناسبا مع القيم والأعراف الدينية والأخلاقية لكي يهدى الطفل إلى الغاية النهائية والهدف الأساس ألا وهو السعادة الأخروية.

كما أظهرت نتائج البحث أن الغزالي يعتبر مرحلة الطفولة متسمة بثلاثة خصائص بارزة وهي: الضعف العقلي، والنقص، والتقليد. كما يؤكد الغزالي أن الطفل يحتاج إلى "اللعب" ويؤكد أن هذه الحاجة يجب أن تكون قائمة على علاقة اللعب بين طفل وطفل وليس بين طفل وبالغ. بعبارة أدق يجب أن يلعب الطفل مع من كانوا في سنه حتى إذا كان هذا اللعب يحتاج إلى موافقة الأهل والأولياء.

إن السؤال الأخير الذي حاولنا ان نجيب عنه في هذا البحث هو : هل كان الغزالي يهتم بالمخاطر التي تواجه الطفل في عصره أم لا. وتبين أن أبا حامد قد تناول هذا الجانب من حياة الطفل وتطرق إلى المخاطر التي قد تواجه الطفل في هذه المرحلة من حياة الإنسان. وأشار إلى هذا الموضوع في كتاب إحياء علوم الدين وعبر عنه بعنوان "التحرش الجنسي للأولاد" وأطلق عليه اسم "الشذوذ الجنسي" واعتبرها ذنبا من الذنوب الكبيرة التي قد يقوم بها الإنسان البالغ بحق الطفل أو الصبي.

استنادا إلى النتائج السابقة يجب القول إن الغزالي يعتبر الطفل موجودا غير راشد وغير بالغ، وهو يكون بمثابة الوعاء الفارغ الذي يكون مستعدا لقبول أي شيء. من هذه الزاوية يمكن لنا قبول رأي الباحث والمؤرخ همايي الذي يعتبر الغزالي أحد أكبر علماء الإسلام الذين تناولوا موضوع التعليم والتربية لاسيما تربية "الطفل" وقد تناول هذا الموضوع أكثر من غيره من العلماء والمفكرين (همايى، ١٣٤٢: ٣٩٨- ٣٩٧). إن الغزالي ولكي يثبت آراءها ومعتقداته حول الطفل ومرحلة الطفول استند كثيرا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسير الصالحين.

إضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى هذه القضية الهامة ألا وهي أنه يتوجب علينا عند دراسة موضوع الطفل والطفولة من قبل الغزالي أن نعرف أن المستهدف في كلام الغزالي هم الرجال، وإن القضايا السلبية أو الإيجابية التي يتطرق إليها في هذا المجال تدور حول مجتمع الرجال حصرا. ويستثنى من هذا الجانب موضوع المحبة إزاء الطفل حيث ذكر محبة الأم تجاه الولد وشفقتها العالية. وبطبيعة الحال هذا الأمر كان بسبب الظروف التي كان تسود في عصر الغزالي (القرن الخامس الهجري وبدايات القرن السادس)، وحتى لو كان الغزالي قد خاطب النساء في عصره لما وجد له مخاطبين وقراء.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

٦- المصادر والمراجع

١. جواهر فروش‌زاده، عبدالرحيم (١٣٧٢)، آراء الغزالي التربوية، كيهان انديشه، العدد ٥٢.

٢. جيمز، آليوس، كريس جنكس، آلن بروت، (١٣٩٣)، مرحل الطفولة من منظار علم الاجتماع (تنظير حول مرحلة الطفولة)، ترجمة: عليرضا كرمانى و عليرضا ابراهيم آبادى، طهران: نشر ثالث.

٣. حر عاملى، محمد بن حسن (١٤٠٩ق)، وسائل الشيعه، ج ١، تهران: صفا.

٤. خالق‌خواه، على (١٣٩٣)،علاقة العقل والدين لدى الغزالي وإشارات ذلك في التربية الدينية (التربية الدينية وفق المعتقدات الإيمانية لدى الغزالي)، بحوث العلم والدين، الدورة ٥، العدد ٢صص: ١٣٠- ١١١.

٥. رفيعى، بهروز (١٣٨١)،آراء علماء الإسلام حول التعليم والتربية ومبادئ هذه الآراء، قم وطهران، معهد الحوزه والجامعة ومنظمة سمت.

٦. روسو، جان جاک (١٣٨٨)، أميل أو التربية والتعليم، ترجمة: غلام‌حسين زيرک زاده، طهران: شركت سهامى تشهر.

٧. زرين كوب، عبدالحسين (١٣٩٦)، الهروب من المدرسة: حول حياة وأفكار أبي حامد الغزالي، طهران، شركة بين الملل للنشر والتوزيع، (تابعة لمنظمة الدعاية الإسلامية).

٨. طبرسى، ميرزا آقا نورى (١٤٠٨ق)، مستدرک الوسائل، قم: آل البيت (ع).

٩. طوسى، محمد بن حسن (١٤٠٨ق.)، التبيان فى تفسير القرآن، ترجمة وتقيم: شيخ آغابزرک تهرانى و احمد قصير عاملى، بيروت: انتشارات دار احياء التراث العربى، مجلد ٣.

١٠. عطاران، محمد (١٣٦٨)، آراء مدربي الإسلام الكبار حول الطفل، طهران، نشر وزارة الثقافة والإرشاد، ط٢.

١١. غزالى، ابوحامد (١٣٣٣)، مكاتب الغزالى الفارسية، بجهد عباس اقبال.

١٢. ---- (١٣٦٢)، الشك والمعرفة (المنقذ من الضلال): ترجمه صادق آيينه‌وند، طهران: اميركبير.

١٣. --- (١٣١٧)، نصيحه‌الملوک، تقديم وتصحيح: جلال‌الدين همايى، طهران: مطبعة البرلمان.

١٤. --- (١٣٨٣)، إحياء علوم الدين، تصحيح حسين خديوجم، مجلد ١ و٢،، طهران: نشرالكتب جيبى.

١٥. فرهاديان، فاطمه، حسن سراج‌زاده (١٣٩٨)،دراسة مقارنة لمبادئ التربية الأخلاقية من وجهة نظر الغزالي ومهدي نراقي، اخلاق، الدورة ٩، العدد ٣٣، صص: ١٨١- ١٥١.

١٦. كارا دُو وُو، بارون (١٣٦١)، مفكرو الإسلام (فلسفة المدارس وعلم الكلام والتصوف)، مجلد ٤، ترجمه احمد آرام، طهران: دفتر نشر فرهنک اسلامى.

١٧. لاک، جان (١٣٩٨)، دراسة حول المفاهيم البشرية، ترجمة: كاوهلاجوردى،طهران: نشرمركز.

١٨. متز، آدام (١٣٦٤)،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر الحداثة الإسلامية، مجلد ١، ترجمة: عليرضا ذكاوتى قراكزلو، طهران: اميركبير.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

١٩. وغان، جفرى (١٣٩٥)،التربية السياسية في أفكار هابز، طهران، نشر ني
٢٠. همايى، جلال‌الدين (١٣٤٢)، رسائل الغزالي، ط٢، طهران، نشر فروغي.
[21] Danziger, K., (1970). *Reading in Child Socialization*, Oxford: Pregamon.
[22] Denzin, N., (1977). *Childhood Socialization*, San Francisco: Jossey -Bass.
[23] Elkin, F., and Handel, G., (1972). *The Child and Society: The Process of Socialization*, New York: Random House.
[24] Goslin, (1969). *Handbook of Socialization Theory and Research*, Chicago: Rand McNally.
[25]Morison, A., and Mcintyre, D., (1971). *Schools and Socialization*, Harmonds Worth: Penguin.
[26] White, G., (1977). *Socialization*, London: Longman.

References

[1] Al-Ghazali, Abu Hamid, (1983). *Doubt and Cognition* (Al-Munqiz Min Al-Dalal), translated by Sadegh Aynehvand, Tehran: Amirkabir.
[2] Attaran, Mohammad, (1989). *The Views of Great Muslim Educators on Child Rearing*, Tehran: Printing and Publishing Organization of the Ministry of Culture and Islamic Guidance, second edition.
[3] Danziger, K., (1970). *Reading in Child Socialization*, Oxford: Pregamon.
[4] Denzin, N., (1977). *Childhood Socialization*, San Francisco: Jossey -Bass.
[5] Elkin, F., and Handel, G., (1972). *The Child and Society: The Process of Socialization*, New York: Random House.
[6] Farhadian, Fatemeh; Sirajzadeh, Hassan, (2019). 'A Comparative Study of the Principles of Moral Education from the Perspective of Ghazali and Mehdi Naraghi', *Ethics*, Volume 9, Number 33, pp. 181-151.
[7] Ghazali, Abu Hamed, (1954). *Ghazali Persian Schools*, by Abbas Iqbal.
[8] Ghazali, Abu Hamed Mohammad, (1938). *Nasiha al-Muluk*, with introduction, correction and margin of Jalaluddin Homayi, Tehran: Majles Printing House.
[9] Ghazali, Abu Hamed Mohammad, (2004). *The Alchemy of Happiness*, edited by Hossein Khadiojam, Volumes I and II, Tehran: Pocket Books Publications.
[10] Goslin, (1969). *Handbook of Socialization Theory and Research*, Chicago: Rand McNally.
[11] Har'amli, Muhammad ibn Hassan, (1989). *Wasa'il al-Shi'ah*, Vol. 1, Tehran: Safa.
[12] Homayi, Jalaluddin, (1962). Ghazalinameh, second edition, Tehran: Foroughi Publications.
[13] James, Alius; Jenks, Chris; Prout, Allen (2014). *Childhood Sociology*

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

(Theory of Childhood), translated by Alireza Kermani and Alireza Ebrahimabadi, Tehran: Third Edition.

[14] Javaherforoushzadeh, Abdolrahim, (1993). Ghazali's educational views, *KayhanAndisheh*, No. 52.

[15] Kara Do Woo, Baron, (1982). *Muslim Thinkers* (Philosophy of Teaching and Theology and Sufism), Volume 4, translated by Ahmad Aram, Tehran: Islamic Culture Publishing Office.

[16] Khaleqkhah, Ali, (2014). The Relationship between Reason and Religion from Al-Ghazali's Perspective and Its References in Religious Education (Religious Education Based on Al-Ghazali's Faithful Beliefs), *Research in Science and Religion*, Volume 5, Number 2, Pp. 130- 111.

[17] Locke, John, (2019). *An Essay on Human Understanding*, translated by Kaveh Lajevardi, Tehran: Markaz Publishing.

[18] Metz, Adam, (1982). *Islamic Civilization in the Fourth Century AH* or (Islamic Renaissance), Volume I, translated by Alireza Zakavati Qaragazloo, Tehran: Amirkabir.

[19] Morison, A., and Mcintyre, D., (1971). *Schools and Socialization*, Harmonds Worth: Penguin.

[20] Rafiei, Behrooz, (2002). Opinions of Muslim Scientists in Education and its Fundamentals, Qom and Tehran: Research Institute of the Seminary and the University and the Organization for the Study and Compilation of University Humanities Books (Position).

[21] Rousseau, Jean-Jacques, (2009). *Emile or Education*, translated by Gholamhossein Zirakzadeh, Tehran: Chehr Co.

[22] Tabarsi, Mirza Agha Nouri, (1988). Mustadrak al-Wasa'il, Qom: Al-Bayt (AS).

[23] Tusi, Mohammad Ibn Hassan, (1988). *Al-Tibyan Fi Tafsir Al-Quran*, translation and introduction by Sheikh Aghabzorg Tehrani and Ahmad QusairAmeli, Beirut: Dar Al-Ahya Al-Tarath Al-Arabi Publications, Volume III.

[24] Vegan, Jeffrey, (2016). *Political Education in Hobbes' Thought*, Tehran: Ney Publishing.

[25] White, G., (1977). *Socialization*, London: Longman.

[26] Zarrinkoob, Abdolhossein, (2017). Escape from school: About the life and thought of Abu Hamed Ghazali, Tehran: International Publishing Company (affiliated to the Islamic Propaganda Organization).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

Sociological Analysis of the Concept of Child and Childhood in the Thought of Imam Mohammad Ghazali

GholamrezaJamshidiha[1], Ahdieh Asadpour[2*]

1. Professor, Department of Social Sciences, Tehran University, Tehran.
2. PhD in sociology, Alzahra University, Tehran

Abstract

Attention to child and childhood has existed throughout history as pre-sociological paradigms. The present study tries to retrospectively examine Ghazali's views on child and childhood, and measure the importance he gave to this issue. Al-Ghazali is one of the well-known thinkers of the fifth century AH, whose views on education and divine-human thought have greatly influenced the future. This study is conducted using the documentary method. The studied documents included primary and secondary sources. The results show that Ghazali, while paying attention to child and childhood, considers the nature of children to be pure and innocent. These children are understood under the banner of two institutions of family and "high school" (school), both of which are responsible for raising and educating children. The child has characteristics such as weakness of intellect, imitation and imperfection, which are placed in the process of socialization on the one hand by adults with the power of education and discipline. Al-Ghazali considers the beginning of childhood from the time of sperm formation to the end of puberty for girls and the age of sixteen for boys, from which they can enter into married life, in other words, the world of adulthood. The findings led the researcher to conclude that al-Ghazali, despite his use of the concept of "child," focused on children-boys rather than children-girls.

Keywords: Ghazali; Child; Childhood; Socialization.

∗ Corresponding Author's E-mail: ahdiehasadpour7503@gmail.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]

تحلیل جامعه‌شناختی مفهوم کودک و دوران کودکی در اندیشه امام محمدغزالی

غلامرضا جمشیدیها[۱] ، عهدیه اسدپور[۲]*

۱. استاد جامعه شناسی دانشگاه تهران
۲. دکتری جامعه‌شناسی مسائل اجتماعی ایران، دانشگاه الزهرا (س)

چکیده

توجه به کودک و دوران کودکی تحت عنوان مفاهیم پیش جامعه‌شناختی در طول تاریخ وجود داشته است. پژوهش حاضر به شکلی گذشته‌نگر سعی کرد با بررسی آراء و نظرات الغزالی در مورد موضوع کودک و دوران کودکی حجم و میزان اهمیت دادن غزالی به این موضوع را بسنجد. غزالی از متفکران بنام و مشهور قرن پنجم هجری قمری است که آرای وی در زمینهٔ تعلیم و تربیت و اندیشهٔ الهی-انسانی وی بر آیندگان نیز تأثیر بسیار زیادی گذاشته است. این مطالعه با استفاده از روش اسنادی- توصیفی انجام شده است. اسناد و مدارک مورد مطالعه شامل دو دسته اسناد دسته اول و دوم بوده‌اند. نتایج پژوهش نشان داد که غزالی ضمن توجه به کودک و دوران کودکی، سرشت کودکان را بی‌آلایش و بدون گناه دانسته است. این کودکان تحت لوای دو نهاد خانواده و «دبیرستان» (مکتب) قابل درک هستند که هر دو نهاد مذکور وظیفهٔ پروردن و ادب کردن کودک را برعهده دارند. کودک دارای ویژگی‌هایی چون ضعف عقل، تقلیدگری و ناقص است که با قرارگیری در فراگرد جامعه-پذیری یک سوی از سوی بزرگسالان صاحب قدرت تربیت و تأدیب می‌گردد. غزالی شروع دوران کودکی را از زمان تشکیل نطفه و پایان آن را برای دختران رسیدن به سن بلوغ (۹ سال تمام قمری) و برای پسران سن شانزده سالگی دانسته است که از این سن می‌توانند وارد زندگی زناشویی و به عبارتی دنیای بزرگسالی شدند. یافته‌ها محقق را بدین استنباط رساند که غزالی با وجود استفاده از مفهوم «کودک»، توجهات اصلی وی به کودک-پسران بوده است تا کودک-دختران.

واژگان کلیدی: غزالی، کودک، دوران کودکی، جامعه‌پذیری.

* نویسنده مسئول Email: ahdiehasadpour7503@gmail.com

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-07-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1444.29.3.6.3]